عبد الرحمن الربيعي

# أنا والآداب

## ملاحظات وذكريات

ـ ١ ـ

لم اجد بين الادباء العرب التقدميين من لا يضمر للآداب محبة خاصة ومتميزة ، محبة من النادر ان يمنحها بهذا العنف وبهذه الرقة والاثرة لمحبوبة اخرى، لان الآداب بالنسبة لنا كالحب الاول . خليط من الحلم والخيال والصدق والجموح ، وكل التناقضات الاخرى التي من الممكن ان يحملها قلب عاشق ، يدب في خلاياه نسغ هذا الوئام الجميل لاول مرة .

ان الآداب مقترنة دوما بالتفتح الاول ،بالاضاءات البكر للكلمة الملتزمة الجديدة التي يحن الى تسجيلها بايمان جيل من الادباء العرب الحالمين والعاملين من اجل ان يكون لعطائهم موقع متميز بين آداب الامم الاخرى. وعندما صدرت الآداب أصبحت البيت الآمن ، والأم الرؤوم التي نهمس لها بكل ما ادخرناه وحلمنا به . وعندما كنا نطبق المظاريف على الكلمات التي صفناها تعبيرا عن ذلك البوح الصافي فأن الثقة كانت تملأنا بأن كلماتنا ستجد الصدر الذي يضمها بحنو وصفاء .

ـ ٢ ـ

عرفت الآداب ولم يكن ذلك منذ اعدادها الاولى، لقد عرفت آداب الستينات عندما عثرت على عدد منها في المكتبة العامة لمدينتي الجنوبية الطيبة « الناصرية » واذكر انني قد بهرت بذلك العدد وقراته من اوله الى آخره .. شدتني اليه تلك الروح الجديدة المعبرة عن طموحنا وقلقنا وضياعنا ورغابنا ، كانت قصائده وقصصه ودراساته صوتا لجيلنا المحاصر ، واعطاها هذا التوحد والشمول كونها قادمة من كافة اقطار الوطن العربي ، ولم يستأثر بها قطر دون آخر كما كان معروفا عن المجلات العربية المتداولة يومذاك .. كان ذلك العدد ملتقى قوميا ، ورفت في قلبي الرغبة لان اودع كلماتي مع كلمات اشقائي يوما ، ولكن هذه الرغبة اقترنت دوما بالتهيب والتردد قبل ان احاول تحقيقها .

ولعل واحدا من ابواب الآداب قد اثر فعلا في انارة الكثير من آفاق هذا الفن الذي احاول كتابته ـ القصة، هذا الباب هو « قرات العدد الماضي » وما يعقبه من مناقشات ونقاط اختلاف في الموقف والرؤيا ، ولكن كل هذه الامور كانت تصب في غاية واحدة هي الوصول الى الجواب الحقيقي ووضع الخطوات في دربها الصحيح من أجل تطوير تجربة الكتابة الجديدة عند الادباء العرب الشبان .

ورغم هذه الحرية فان للمجلة ضوابطها الذكية في عدم جر المناقشات الى مواقع غير امينة قد تؤدي الى الاساءة والتجريح او طرح آراء مناقضة لطموحات الانسان العربي كما كانت تفعل بعض المجلات متذرعة بليبرالية غوغائية، بل كانت حرية « الآداب » ضمن حدود الالتزام بخطها القومي والانساني التقدمي .

ان رسالة الآداب وموقفها هما اللذان قاداها الى مواقف صعبة ، كان المنع والمصادرة ابسطها ، ومع ذلك صمدت وبقيت ، وبادرت الى اصدار اعداد خاصة في مواضيع متعددة تهم الانسان العربي ، كما بشرت بالادب الجديد الذي يلاحق احداث الوطن العربي : ثورة مصر عام ١٩٥٢ ، ثورة الجزائر ، ثورة اليمن ، ثورة العراق .. الخ ، ومنحت القضية الفلسطينية والوحدة العربية اهتماما واضحا ، وانا هنا لا اريد ان استعرض ما فعلته في هذا الشأن ، فالآداب مثلا سجل امين للقضية الفلسطينية منذ النكبة وحتى اليوم وهي قضية العرب المركزية ومحور نضالهم .

ـ ٣ ـ

كان تقائي بذلك العدد من الآداب دافعا لي لان الم ببنود هذا السفر الرفيع لثقافتنا القوميـــة الجديدة ، وتابعت ارهاصات الولادات الاولى للشعر الجديـــد والقصة الجديدة والنقد الجديد ايضا بقراءتي لاعـــداد متفرقة سابقة من الآداب . وقد وضعتني هذه المتابعة في قلب الادب العربي ومشاكله واحسست انني طرف فيه ، انتصر للجديد الملتزم ، وادين السلفي غير المتنور ، وان لم اعلن عن موقفي بكلمة مكتوبة .

لقد ولدت « الآداب » في وقتها ، وكان الواقـــع العربي ذو المتغيرات السياسية والاجتماعية الحادة المهيأة لمثل هذه الولادة لا سيمـــا وقد انعكست هذه المتغيرات على الادب بشكل فعال. ولذلك استطاعت « الآداب »وفي فترة قصيرة ان تعبىء الكتاب العرب فـي جبهـــة واحدة وتكون صوتهم ، وقد منحها هذا التفـــرد توقف بعض المجلات الادبية الاخرى او مراوحتها لانها لـم تستطع ان تلحق بمـــا يجري .

ان ازدهار « الآداب » اقترن بازدهار الفكر القومي، وكبر الطموح في وجدان الانسان العربي من اجـل ان يتحرر ويتوحد ويتخطى عصور التشرذم والانقسام .

ـ ٤ ـ

اكتب عن « الآداب » بمحبة ، وما زلت بين فتـــرة واخرى أقدم شيئا مما عندي لها اعتزازا بدورها وجهودها ورغبة فـي ان يظل اسمي بيـن كتابها . ولم اكن مجاملا عندمـــا قلت لصاحبهـــا اخينا الكبير الدكتور سهيـــل ادريس وانا اسلمه قبل أيام آخر قصة كتبتها : رغـــم اغراءات المجلات الرسمية ، ومكافأتهـــا العالية فان الكتابة في الآداب شرف ووفاء .

انه مما يبهجني ان تكون اول قصة لـي وهي «الوكر» قد نشرت على صفحات الآداب وكان ذلك عام ١٩٦٣ وقد امدني هذا النشر بطاقة هائلـة من الثقة بالنفس لذلـــك حرصت دومـــا على ان اقدم للآداب افضل ما عندي ،وما زلت اتهيب امامها تمامـــا وكأننـــي اقدم لها عملي الاول.

ـ ٥ ـ

على صفحات الآداب توحد صوت القصاصين العرب الجدد من المحيط الى الخليـج ، وعلى صفحاتهـــا عرفت الكثيرين ممن اصبحوا زملائي واصدقائي في رحلة البحث والاضافة . مطاع صفدي ، سليمان فياض ،عبدالسـلام العجيلي ، جورج سالم ، غادة السمان ، محمد عبدالمولى، حيدر حيدر ، هاني الراهب ، غسان كنفاني ،سميرة عزام، ديزي الامير وعشرات غيرهم .

وعن طريق منشوراتها عرفت سارتر ومورافيـــا والبير كامو وسيمون دي بوفـــوار ، وايريس مردوخ ، وماركريت دورا ، وكولـون ولسون ، وجيمس جويس ، وغيرهم من كبار الادباء العالميين .

وقد اكملت هذه المنشورات دور الآداب المجلـة ، وجعلت منهـــا مدرسة معاصرة .

ـ ٦ ـ

من بين اعداد الآداب اعتز بعددين ، ولعل اعتزازي بهمـــا ليس لافضلية لهمـــا على اعداد المجلة الاخرى ولكن لاسباب خاصة بي ، والعددان هما : الثالث لشهر اذار عام ١٩٦٣ وهو عدد ممتاز عن ( الرواية الحديثة ) وفيه انتبهت لاول مرة لافكار مجموعة من نقادنا وقصاصينا المتميزيـن وبينهم د . احمد كمال زكي ، غسان كنفاني ، د . محمد غنيمي هلال ، رجاء النقاش ، د . زكريا ابراهيم ، عدنان ابن ذريل ، سعدالله ونوس ، صبري حافظ ، وغيرهم ، حيث تولى هؤلاء الحديث عن قضايا وظواهر في الفـن الروائي اضافة الى تحليل نماذج متميزة في هذا الفن .

لقد دفعني ذلك العدد للبحث عن الاعمال المدروسة وقراءتهـــا على ضوء ما حملته عنها من افكار ،وقادني ذلك لتوسيع رقعة القراءة في هذا المجال والبحث عن الروايات البـــارزة في الادبين العالمي والعربي .

اما العدد الآخر من الآداب فهو الذي صـــدر فـي السنوات الاخيرة وضم خمسين قصة قصيرة لعدد مـن القصاصين الجادين في الوطن العربي ، والذيـن تميـــز البعض منهم بعطائه ومواصلته من اجل رفـد هـذا الفن الهـــام ـ القصة .

ان هـــذا العدد وثيقة تمتد اهميتها لا في حدود الفن فقط بل لدراسة أفكار جيل وطموحاته ومدى قدرة القصة علـى استيعاب هذه الافكار والطموحات .

ومما اسعدني ايضا ان قصتي « المقهى » التي ضمها ذلك العدد قد ترجمت الى بعض اللغات الاجنبية ومنهـــا : البولندية والتركية والانكليزية .

ـ ٧ ـ

عندمـــا تصفحت عددا من مجلدات الآداب التـــي تحتويهـــا مكتبتـــي لفت نظري غياب بعض الاسماء التـــي ساهمت في تحرير الآداب ، البعض اخذه الموت ، والاخر الصمت ، ولعل هذه مسألة طبيعية فمثل الآداب كمثـــل المختبر الذي تجري فيه التجارب ليعمم الناجح منها ، وقد حدث هذا فعـــلا للكثير من الاسماء التي بدأت النشر في الآداب ثم اخذت اماكنهـــا في مواقع اخرى من حياتنا الثقافيـــة بجدارة وتميز .

تحية للآداب ـ المدرسة وآمل لحامـــل همها الاخ الطيب الدكتور سهيل ادريس طول العمر لتحتفل معـــا بأعيادهـــا الاخرى وهي على عهدنا بها فتية شجاعة .

بغداد — عبدالرحمن مجيد الربيعي